المبحث الرابع

مدارس علم أصول الفقه وأهم مؤلفاته

مدارس أصول الفقه واهم مؤلفاته [7]

1-مدارسه:

كانت رسالة الشافعي هي أول كتاب صنف في أصول الفقه، ومن ثم توالى الأئمة على شرحها، والاستضاءة بنورها، والاقتداء بهديها، وأصبح علم الأصول علماً مستقلاً، رتبت أبوابه، وحررت مسائله، ودققت مباحثه، وصار شرطاً لكل مجتهد أن يتحقق به ويتمرس بقواعده ومسائله .

فألفت فيه المؤلفات، وحررت المصنفات، وتشعبت طرق الباحثين فيه إلى ثلاث طرق:

الطريقة الأولى: وهي التي تعرف بطريقة المتكلمين، وهم الشافعية والجمهور.

الطريقة الثانية: وهي التي تعرف بطريقة الفقهاء، وهم الحنفية.

الطريقة الثالثة: الطريقة الجامعة.

الطريقة الأولى :طريقة الشافعيَّة أو المتكلمين :

وهي التي كان يهتم أصحابها بتحرير المسائل، وتقرير القواعد، وإقامة الأدلة عليها، وكانوا يميلون إلى الاستدلال العقلي ما أمكن، مجردين للمسائل الأصولية عن الفروع الفقهية، غير ملتفتين إليها، لأنها هي التي يجب أن تخضع للقواعد الأصولية، ولا تخرج عنها إلا بدليل منفصل شأنهم في ذلك شأن علماء الكلام، وعلى الجملة فالأصول عندهم فن مستقل يبنى عليه الفقه، فلا حاجة للمزج بين الفنين، والجمع بين العلمين .

خصائص هذا الاتجاه :

1- عدم الالتفات إلى موافقة فروع المذهب أو مخالفتها للقواعد الأصولية، وإنما التعويل الكامل على الأدلة النقليَّة والعقلية.

2- عدم الالتزام بالمذهب فيما يتوصَّل إليه من قواعد، و الإكثار من الاستدلالات العقلية والبراهين النظريَّة.

3- قِلَّة إيراد الفروع الفقهية، إلا في مقام التمثيل والتوضيح.

4- اشتمال المؤلَّفات على هذه الطريقة على جُملة من المسائل العقلية والكلامية التي ليست من علم الأصول، وكذلك اشتمال تلك المؤلَّفات على مسائلَ خلافيَّة لا يترتَّب على الخلاف فيها ثمرة، وهو مما أُخِذَ على هذا الاتجاه .

الطريقة الثانية :طريقة الفقهاء (الأحناف) :

وهي أمس بالفقه، وأليق بالفروع تقرر القواعد الأصولية على مقتضى ما نقل من الفروع عن أئمتهم، زاعمة أنها هي القواعد التي لاحظها أولئك الأئمة عندما فرعوا تلك الفروع، حتى إذا ما وجدوا قاعدة تتعارض مع بعض الفروع الفقهية المقررة في المذهب، عمدوا إلى تعديلها بما لا يتعارض مع تلك الفروع، أو استثناء هذه الفروع من تلك القاعدة.

خصائص هذه الطريقة :

1- هي طريقة لاستنباط أصول الاجتهاد الذي وقع بالفعل، وهي قواعد مستقلِّة يمكن الموازنة بينها وبين غيرها من القواعد.

2- هي طريقة مطبَّقة في الفروع؛ فهي ليست بحوثًا نظرية مجرَّدة.

3- استنباط القواعد الأصولية من الفروع الفقهيَّة، والالتزام بالمذهب فيما يتوصَّل إليه من قواعد، حتى ولو صِيغتِ القاعدة بطريقة متكلفة لتتوافق مع الفروع.

4- كثرة الفروع والأمثلة والشواهد، وقِلة المسائل الافتراضيَّة والنظرية، والمسائل التي لا يَنْبَنِي عليها

أثرٌ فِقهي.

5- مكَّنت هذه الطريقة من كثرة التخريج في المذاهب، وتفريع الفروع بناءً على القواعد المستنبطة.

الطريقة الثالثة : الطريقة الجامعة بين الطريقتين

بعد أنِ اسْتقامتِ الطريقتان كلٌّ في منهاجها، ظهرتْ طريقة المتأخِّرين من الأصوليين الذين جمعوا بين الطريقتين، فكانوا يقرِّرون القواعدَ من خلال البحث النظري المجرَّد، ويستشهدون عليها بالفروع، فلا يكون البحثُ النظري مقرِّرًا للقواعد والأصول، ولا تصبح الفروع هي المقرِّرة لما يتمُّ استنباطه من القواعد، وقد ظهرتْ هذه الطريقة في حدود القرن السابع الهجري .

ومن خصائص هذا المنهج:

1- الجمع بين الأدلة العقلية والنقلية، وبين الفروع الفقهيَّة في دراسة القواعد الأصولية، وعدم الاقتصار على أحدهما.

2- الجمع بين فائدتين؛ فائدة تعود على الفقه، وذلك بذكْر الفروع الفقهيَّة، وفائدة تعود على القواعد الأصولية، وذلك بتمحيص أدلتها ومناقشتها.

3- استيعاب ما أُلِّف على طريقتي المتكلِّمين والفقهاء.

4- سِمَة الاختصار في أغلب المؤلَّفات على هذه الطريقة .

الطريقة الرابعة:

وهناك من علماء الأصول مَن سلك مسلكًا مُغايرًا، ونهج نهجًا متميِّزًا في البحث والتأليف في علم الأصول، هذا المسلك يقوم على تناول مقاصد الشريعة العامة ومصالحها الكُليَّة، هذه المقاصد وتلك المصالح إنما جاءت الشريعة لحمايتها ومراعاتها، وقد كانت بحوث أصول الفقه السابقة لا تُعْنَى بهذا الجانب ولا تتناوله، ومِن هؤلاء الإمام أبو إسحاق الشاطبي المالكي المتوفى سنة 780 هـ؛ فقد اتجه الإمام الشاطبي إلى العناية بأسرار التشريع، وتوضيح مقاصد الشارع، ويُعدُّ كتابه (الموافقات) من أعظم ما كُتِبَ في الأصول، كما يُعدُّ بَدءًا لمنهج جديد من الأصول يغاير المناهج القائمة من قبل .

2- أهم المؤلَّفات الأصولية :

كما سبق أنْ بيَّنَّا، كان هناك اتجاهان أساسيَّان في البحث والتأليف في أصول الفقه، هما اتجاه الشافعيَّة أو الجمهور أو المتكلِّمين كما أُطْلِق عليه، والاتجاه الثاني الذي عُرِف بطريقة الحنفية، ثم كانت طريقة المتأخِّرين التي جمعت بين الطريقتين، وأخيرًا تناولنا بإيجاز طريقة" الشاطبي "الذي نَحا مَنحًى جديدًا في البحث في علم الأصول، وهذه الاتجاهات قد وَضَعَ الباحثون في كلٍّ منها كُتُبًا على

طريقته في البحث والتأليف عبر مراحل تاريخ أصول الفقه، ونورد هنا أشهر الكُتب التي وُضِعتْ في كلِّ اتِّجاه

أولاً :مؤلفات طريقة الشافعية

1-" العهد"؛ للقاضي عبدالجبار المعتزلي، المتوفى (415هـ)

2-" المعتمد"؛ لأبي الحسين البصري المعتزلي، المتوفى (463هـ)

3-" البرهان"؛ لأبي المعالي الجويني الشافعي، المتوفى (478هـ)

4-" المستصفى"؛ لأبي حامد الغزالي الشافعي، المتوفى (505هـ)

5-" المحصول"؛ لفخر الدين الرازي الشافعي، المتوفى (606هـ)

6-" الإحكام"؛ لسيف الدين الآمدي الشافعي، المتوفى (631هـ)

7-" منهاج الوصول"؛ للبيضاوي، المتوفى (685 هـ)

8-" التنقيحات"؛ للقرافي المالكي، المتوفى (684هـ)

9-" منتهى السول"؛ لابن الحاجب المالكي، المتوفى (646هـ)

ثانياً :مؤلفات طريقة الحنفيَّة

1-" أصول الكرخي :"أبي الحسين بن عبيدالله، المتوفى (340هـ)

2-" أصول الجصاص :"أبي بكر أحمد بن علي، المتوفى (378هـ)

3-" تقويم الأدلة"؛ لأبي زيد الدبوسي، المتوفى (340هـ)

4-" تمهيد الفصول"؛ للسَّرَخْسِي محمد بن أحمد، المتوفى (428هـ)

5-" الأصول"؛ لعلي بن أحمد البزدوي، المتوفى (482هـ).

6-" كشف الأسرار"؛ لعبدالعزيز البخاري، المتوفى (730هـ).

7-" تخريج الفروع على الأصول"؛ للزنجاني، المتوفى (656هـ)

8-" التمهيد"؛ لجمال الدين الإسْنَوي الشافعي، المتوفى (772هـ)

9-" تنقيح الفصول"؛ للقرافي المالكي، المتوفى (684 هـ)

10-" القواعد"؛ لأبي الحسن الحنبلي، المتوفى (830هـ)

ثالثا :مؤلفات الطريقة الجامعة

1-" بديع النظام"؛ لمظفر الدين الساعاتي، المتوفى (694هـ)

2-" جمع الجوامع"؛ للسبكي الشافعي، المتوفى (771هـ)

3-" تنقيح الأصول"؛ لصدر الشريعة الحنفي، المتوفى (654هـ)

4-" التحرير"؛ للكمال بن الهمام الحنفي، المتوفى (861هـ)

5-" مسلم الثبوت"؛ لمحب الدين عبدالشكور، المتوفى (1119هـ)

6-" إرشاد الفحول"؛ للشوكاني، المتوفى (1250هـ)

رابعا: مؤلفات اهتمَّت بمقاصد الشريعة ونظريات الأحكام

1-" الموافقات في أصول الشريعة"؛ للشاطبي المالكي، المتوفى (790هـ)

2-" الأشباه والنظائر"؛ لتاج الدين السبكي، المتوفى (772هـ)

3-" -قواعد الأحكام"؛ لعز الدين بن عبدالسلام، المتوفى (660هـ)

4-" القواعد الفقهية"؛ لابن رجب الحنبلي، المتوفى (795هـ)

5-" منثور القواعد"؛ لبدر الدين الزركشي، المتوفى (794هـ)

6-" الأشباه والنظائر"؛ لجلال الدين السيوطي، المتوفى (911هـ)

7-" الفروق"؛ لشهاب الدين القَرافي المالكي، المتوفى (684هـ)

خامسا: مؤلفات حديثة

ومع النهضة الحديثة التي دبَّت في العالم الإسلامي بعد عصور الجمود والتقليد، ومع بزوغ النهضة الفقهيَّة من جديد، ظهر عددٌ من المؤلَّفات الحديثة في أصول الفقه تقرِّب مسائله، وتيسِّر على الطلاب دَرْسَه .

ومن أشهر هذه المؤلَّفات :

1-" أصول الفقه"؛ للشيخ محمد الخضري، المتوفى (1345هـ)

2-" علم أصول الفقه"؛ للشيخ عبدالوهاب خلاف، المتوفى (1955م)

3-" أصول الفقه"؛ للأستاذ الشيخ محمد أبي زهرة، المتوفى (1974م)

4- أصول الفقه تاريخه ورجاله ، محمد شعبان

5- الوجيز في أصول الفقه ، عبد الكريم زيدان

6- الوجيز في أصول الفقه ، وهبة الزحيلي